

المسكوكات العربية

« وصاحب السعادة احمد زكي باشا »

بلغني ان العلامة احمد زكي باشا التي في مدينة القدس خطاباً نفيساً عن الآثار السورية وقد استطرده في خطابه الى مسألة شغلته منذ السنة الماضية وهي مسألة النقود العربية وما كنت ارتأيتُه انا من استعمال الزجاجات كـنقود للتداول مع انها في اعتقاد الباشا ليست سوى أوزان وعبارات . وقد اتى سعاده في خطابه المذكور بالبراهين على تخطئه لي ، ولما بلغني هذا قلت اني أقر وأعترف بكون العلامة المشار اليه من العلماء المدققين وله اطلاع واسع في علوم شتى لاسيما في فنون العرب وآدابهم لكنه غير ضليع بعلم النقود التي يسميها الافرنج (علم النومناتيك) .

والبره ان على ذلك ما نشره منذ بضع سنين عن نقصد لصلاح الدين الايوبي اذ زعم انه نُقش عليه صورته . ففتدتُ زعمه هذا ببراهين قاطعة لا ردَّ عليها وهي مدرجة في مجلة المقنطف سنة ١٩٢٠ م .

واما قوله بانني لم آت ببرهان على استعمال الزجاجات كـنقود فلا انكر بانني لم اعثر حتى الآن على شهادة مؤرخ عربي بحث قال هذا الكلام ولكن جاء ذكر هذه النقود في تاريخ مصر الحديث للمرحوم جرجي زيدان في الجزء الاول من الطبعة الثانية وجه ٢٦١ اذ قال :

« وترى في الشكل الخامس والخمسين صورة نقود زجاجية ضربت في عهد الدولة الفاطمية ايام احتياجها للمال وقلة الذهب . وحالما تولى صلاح الدين الغاها وضرب نقوده المعروفة بالنقود الناصرية نسبة اليه » .

والمشهور ان جرجي زيدان نقل هذه الرواية عن مؤرخ فرنساوي جليل وهو الموسيو مارصيرل احد رجال البعثة الفرنسية في عهد نابوليون الاول . واليك عبارته باللغة الفرنسية نقلاً عن تاريخه « مصر من الفتح العربي الى تملك الفرنسيين » المطبوع في باريس سنة ١٨٧٧ في حاشيته وجه ١٢٩ :

«Salah-ed-dyn avait, en effet, fait frapper à cette époque un assez grand nombre de nouvelles monnaies, soit en or, soit en argent, pour retirer de la circulation les monnaies de verre, espèce d'assignats que la pénurie progressive des finances avait forcé les khalyfes fatimites d'émettre sous divers règnes, et dont Salah-ed-dyn annula l'usage.»

والعبارة لا تختلف كثيراً عن ترجمة جرجي زيدان .
وأخبرني احد الباحثين عن المسكوكات العتيقة ان لديه مجموعة وافية من الزجاجات يشك منها باجلى بيان انها استعملت بمثابة نقود وقال لي :

ان هذه الزجاجات استعملت كنقود ليس فقط عند العرب بل استعملها قبلهم البيزنطيون اي الروم الذين تملكوا بلاد المشرق . ومن يجهل ان العرب تعاملوا بالنقود الرومية والفارسية والسامانية الى ان اُبطلت في أوائل الدولة الأموية وقام مقامها النقود العربية المشهورة عند الامويين والعباسيين ؟ اه .

وجما يؤيد رأينا في ان الزجاجات لم تكن تستعمل فقط للعيار بل للتداول كنقود هو كثرة ما تركه لنا الاقدمون من هذه الزجاجات لا سيما في الديار المصرية . فانها تعد بالآلاف وعشرات الآلاف — فلو كانت ضربت للعيار والموازين فقط لما كانت وجدت بالكثرة التي نراها في المتاحف العمومية والخصوصية وبين ايدي تجار العاديات وغيرهم .
وكم حدث ان الدول استعملت ايام الضيق معادن غير الفضة والذهب لا بل ورقاً كما جرى في عهد الدولة العثمانية باستعمالها العملة النحاسية كالبشاك وورق القائمة وذلك أشهر من نار على علم فهل يستبعد ان تكون الزجاجات استعملت كنقود في ايام الفاطميين وغيرهم .

ونرجو من معادة زكي باشا ان ينظر الى جيبه اذا كان لم يزل مقيماً في البلاد الشامية فماذا يرى من النقود الصغيرة السورية كالفرش والفرشين والخمسة غروش هل هي أفضل من الزجاجات اللطيفة التي كانت محكمة الصنع جميلة اللون فانها للمصري اكثر قيمة من الفرط المستعمل في بلاد الشام .

يوسف البيان سر كيسى

القاهرة :